المحاضرة الثانية: الجماليات في الفكر الإسلامي والعربي (The Islamic Aesthetic Paradigm)

من الضروري في سياقنا الأكاديمي تخصيص حيز وافر لاستكشاف كيف تعامل الفكر الإسلامي والعربي مع قضايا الجمال والفن، ليس فقط كاستجابة للنصوص الدينية، بل كفلسفة حضارية متكاملة.

التوحيد والتجريد(Tawhid and Abstraction)

يمكن تناول الفن الإسلامي بوصفه تطبيقاً بصرياً لمبدأ "التوحيد". بما أن الله مطلق ومتعالٍ عن التشبيه والتجسيم، فإن الفن الإسلامي اتجه نحو "التجريد (Abstraction) "والابتعاد عن المحاكاة الطبيعية .(Figurative Art) هذا التجريد، المتجلي في الزخارف الهندسية (Arabesque) والخط العربي، ليس مجرد "زينة"، بل هو محاولة بصرية لتجسيد اللامتناهي والنظام الكوني الدقيق الذي يعكس حكمة الخالق. الفن هنا لا يحاكي "خلق الله" (الطبيعة)، بل يحاكي "قوانين الخلق" (الرياضيات، التناظر، التكرار اللانهائي).

الجمال والجميل في النص القرآني

يجب تسليط الضوء على المفهوم القرآني للجمال الذي يربط بين "الجمال" و"الحق" و"الخير". الجمال في الإسلام ليس قيمة شكلية بحتة، بل هو قيمة وجودية وأخلاقية. "إن الله جميل يحب الجمال". الجمال في الكون هو آية دالة على الخالق، وبالتالي فإن تذوق الجمال هو فعل إيماني ومعرفي. يربط الباحثون بين المفاهيم الجمالية ومقاصد الشريعة، حيث ينتقل الجمال من خانة "التحسينيات" إلى كونه جزءاً أصيلاً من الفطرة السوية[4].

الفنون الجميلة / الفنون النافعة

ناقش الفلاسفة المسلمون (مثل الفارابي، ابن سينا، وأبو حيان التوحيدي) وإخوان الصفا مسألة الفن ضمن إطار أوسع يشمل "الصناعات". لم يكن هناك فصل حاد بين "الفنان"

و"الصانع" كما حدث في أوروبا لاحقاً. الفن الجميل في الحضارة الإسلامية كان دائماً "فناً تطبيقياً" (عمارة، نسيج، خط، خزف)، مما يعكس رؤية تدمج الجمال في نسيج الحياة اليومية ولا تعزله في المتاحف. الجمال هو "ما يجب أن يكون عليه الشيء" ليؤدي وظيفته بأكمل وجه.

إسهامات المفكرين العرب المعاصرين

يجب تعريف الطلاب بالمكتبة العربية في هذا المجال، لردم الفجوة بين التنظير الغربي والواقع العربي.

- **أميرة حلمي مطر** :تعتبر كتاباتها (مثل "فلسفة الجمال: أعلامها ومذاهبها") مرجعاً أساسياً في تقديم الفلسفة اليونانية والجماليات الكلاسيكية للقارئ العربي بلغة رصينة ودقيقة.
- **عفيف البهنسي** :قدم إسهامات كبيرة في الكشف عن جماليات الفن الإسلامي والخط العربي، ودافع عن خصوصية "الجمالية العربية" في مواجهة النظريات الغربية.
- **شاكر حسن آل سعيد** :الفنان والمنظر العراقي الذي صاغ نظرية "الواحدية" و"البعد الواحد"، محاولاً التأصيل لفن تجريدي عربي يستلهم الحرف والصوفية.
- **رمضان بسطاويسي** :قدم إسهامات هامة في تعريف المكتبة العربية بجماليات مدرسة فرانكفورت (تيودور أدورنو تحديداً)، ومناقشة قضايا الجمال في عصر المعلومات والعولمة[6].